

مراكز الاحتجاج المجتمعية في أستراليا: وسيلة متقدمة أكثر إنسانية

كاثرين مارشال وسومة بيلاي ولويس ستاك

إثر أزمة التحفظ على طالبي اللجوء المستضعفين من الأطفال غير المصحوبين بالغين في مراكز الاحتجاج، نجحت مجموعة من النشطاء الأستراليين في الضغط لإقامة مراكز احتجاج مجتمعية بوصفها بديلاً فاعلاً وإنسانياً تتيح فرصة المشاركة لطالبي اللجوء وتجعل لوجودهم معنى في انتظار نتائج طلبات اللجوء التي قدموها.

لتجربة البقاء في مراكز الاحتجاج - أي «مراكز الاحتجاج والاكتماب لديهم»^١ وقد أدت تلك الظروف إلى إقبال كثير المغلقة» - تأثير سلبي وطويل الأمد على الصحة العقلية من المحتجزين على الانتحار وإيذاء النفس والاحتجاجات لكثير من الرجال والنساء والأطفال من طالبي اللجوء وعلى رفاهم في أستراليا. وتُساهم عوامل، مثل: الحرمان من الحرية، والشعور بالظلم، والانعزال عن المجتمع الخارجي الواسع، وتنامي مشاعر الإحباط واليأس، وطول الوقت الذي تستغرقه إجراءات تحديد أحقيه منح صفة لاجئ، والمخاطر المترتبة على الترحيل، والإجراءات القانونية المربكة، جميعها في إصابة المحتجزين بمشاكل عقلية وزيادة مشاعر القلق والضربات الصدمات العقلية والحرمان من الرفاه.



مسيرة نظمتها هيئة العمل الجماعي للاجئين (فيكتوريا) قبالة مركز الإيواء الانتقالي للمهاجرين في برودميدوز، ملبورن، أبريل/نيسان 2013.

نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٣

والأمنية، أُطلق سراح معظم المحتجزون لينطلقوا في المجتمع الأسترالي بحرية ومُنحوا تأشيرات إقامة مؤقتة تُجيز لهم حق العمل، أما من أسفر تقييمهم عن أنهم مستضعفون بشدة، فقد أُطلق سراحهم ليعيشوا في مراكز الاحتجاج المجتمعية التي تحرمهم حق العمل.

لماذا مراكز الاحتجاج المجتمعية؟

في أستراليا، تعاقبت المنظمات المجتمعية والكنسية على توفير خدمات مراكز الاحتجاج المجتمعية. وبمجرد إطلاق سراحهم من الاحتجاج، يتمتع طالبو اللجوء المستضعفون والأطفال غير المصحوبين بالغين والعائلات بتلك الخدمات ويحصلون على خدمات سكنية وصحية ووسائل الرفاه ويضعون كذلك لدراسة مكثفة لحالاتهم نفسياً واجتماعياً. ومع أن مراكز الاحتجاج المجتمعية نوع من أنواع الاحتجاج، إلا أن طالبو اللجوء لا يخضعون لمراقبة حراس الاحتجاج مثلما هو الحال في مراكز الاحتجاج المغلقة. ففي المراكز المجتمعية، يتمتع المحتجزون بفرصة التحرك في أرجاء المجتمع والاشتراك في الأنشطة والأحداث الاجتماعية في المجتمع ويشعرون وكأنهم يعيشون حياة طبيعية. ويروي العملاء أنهم يشهدون مستوى مرتفع من الاستقلال يلمسونه، على سبيل المثال، في قدرتهم على الذهاب للتسوق من محال البقالة التي يرغبون في التعامل معها، وتحديد نوعية وجباتهم وطهيها بأنفسهم، وتنظيم مواعيد زياراتهم للمقابلات بأنفسهم. وتتيح لهم تلك المراكز المجتمعية فرصة البقاء على اتصال دائم بأصدقائهم وأفراد عائلاتهم وبشبكات الدعم. وأعربت العائلات عن ارتياحها لتحسن أحوال أطفالهم كثيراً في مراكز الاحتجاج المجتمعية عن أوضاعهم في مراكز الاحتجاج المغلقة.

مراكز الاحتجاج المجتمعية أقل تكلفة من إدارة مراكز الاحتجاج مشددة الحراسة (التي تستلزم تشييد أبنية عالية الأسوار وتكاليف مرتفعة فضلاً عن الآثار غير الملموسة، مثل: تدهور الصحة العقلية للمحتجزين). وفي المقابل، تكاليف مراكز الاحتجاج المجتمعية اقتصادية أكثر في جميع تلك المستويات^٢. وتقلص إجراءات المراكز المجتمعية أيضاً ضغوط التمويل المستقبلي لأنظمة الرعاية الصحية وآليات الرفاه التي تتفاوت احتياجات طالبو اللجوء القابعين في الاحتجاج لمدة طويلة لها.

«ولكن الأمر مختلف في مراكز الاحتجاج المجتمعية. فأننا أشعر بقيمة أي غير محاط... بالحراس لمدة ٢٤ ساعة يوماً طوال الأسبوع. فنحن نتمتع هنا بقدر أكبر من الحرية.»

وفي بدايات عام ٢٠١٠، بدأت مجموعة من النشطاء دراسة نماذج مراكز الاحتجاج المجتمعية المناسبة للأطفال طالبو اللجوء غير المصحوبين بالغين. وقد أجريت عدد من التشاورات مع طائفة واسعة من المعننين ومقدمي خدمات الشباب، وبمجرد الاتفاق على النموذج الملائم وتحديد المواقع السكنية المناسبة ومقدمي الخدمات، قُدّم اقتراح لوزارة الهجرة والمواطنة لتغيير نظام الاحتجاج الخاص بالأطفال غير المصحوبين بالغين. وقد رحبت الحكومة الأسترالية بذلك الاقتراح ونقلت عدداً كبيراً من الأطفال غير المصحوبين بالغين والعائلات خارج مراكز احتجاج المهاجرين المغلقة منذ إعلانات السياسة الأولى في عام ٢٠١٠. ولذا، صار الأطفال غير المصحوبين بالغين يُقلون إلى شقق من أربع أو خمس غرف يمكن جعل أحدها غرفة مكتب وجعل أخرى غرفة للضيوف ليقضي بها الشباب العاملون وقتهم ليلاً.

وهكذا، دفع استفحال أزمة الصحة العقلية الملحة في مراكز احتجاج المهاجرين وزارة الهجرة والمواطنة إلى زيادة عدد العقود المبرمة مع الهيئات المختارة لتوفير المسكن والدعم للرجال البالغين المستضعفين والقابعين في الاحتجاج أيضاً. ومنذ مارس/آذار ٢٠١٢، طبقت منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية، بالتعاون مع منظمة ماريست لرعاية الشباب، برنامج مراكز الاحتجاج المجتمعية المعني بالرجال البالغين المستضعفين (مشروع تحديد الإقامة للرجال البالغين المستضعفين). ففي بادئ الأمر، استخدم المشروع فندقاً وخمسة منازل ضمو نحو ٤٠ رجلاً بالغاً ذوي احتياجات متعددة ومعقدة، مثل: مشاكل الصحة العقلية والصحة الجسدية. ثم اتسعت تلك الخدمة لاحقاً وضمت عائلات وصارت تقدم خدمات صحية وسكنية وأساليب الرفاه والدراسة المكثفة للحالات نفسياً واجتماعياً لطالبي اللجوء الذين أُطلق سراحهم في مراكز الرعاية المجتمعية. وبدءاً من أغسطس/آب لعام ٢٠١٣، اتسعت الدائرة السكنية لتشتمل على فندق وثمانية منازل وصارت الخدمات تُقدم لنحو ٨٣ عميل (من الرجال البالغين المستضعفين والعائلات).

وفي منتصف ٢٠١٠، أجرت الحكومة الأسترالية تحولاً في سياسة إجراءات الاحتجاج الخارجية في دولة تالاندا. إلا أنه سرعان ما أخفقت تلك السياسة في مجابهة رفض تعاون حكومة تيمور الشرقية وقرار المحكمة العليا بشأن حظر انتقال طالبو اللجوء إلى ماليزيا. وفي أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١١، أعلنت السلطات ضرورة خضوع جميع طالبو اللجوء لإجراءات الاحتجاج داخل أراضي البلاد، ثم بعد مرور مدة أولية من الاحتجاج بسبب الهوية أو لإجراء الفحوصات الصحية

وتساعد مراكز الاحتجاز المجتمعية الأفراد على فهم الحياة بصورة أفضل في أستراليا وتمنحهم فرصاً أفضل لتعلم اللغة الإنجليزية والتواصل مع سكان المجتمع المحلي ما يعزز آمالهم في إمكانية إعادة التوطين إذا ما حصلوا في نهاية المطاف على تأشيرة دائمة. في حين أبدى من لم يُمنحوا صفة لاجئ رغبتهم القوية في العودة إلى أوطانهم الأصلية بعد أن ذاقوا العيش في المراكز المجتمعية. ولوحظ أيضاً انخفاض معدل حالات الانتحار وإيذاء النفس والفرار من إجراءات المراكز المجتمعية بين صفوف المحتجزين.

التحديات

وفي الآونة الأخيرة، تعقد البرنامج جراء إضافة نموذج جديد للرعاية بموجب سياسة نبد التمييز التي وضعتها الحكومة في عام ٢٠١٢. ووفقاً لتلك السياسة، يحصل طالبو اللجوء الواصلون عقب ١٣ أغسطس/آب ٢٠١٢ على بدل معيشة أقل ويحرمون حق العمل وينتظرون نتائج إجراءات دعواتهم لمدة قد تصل إلى خمس سنوات وقد يُنقلون دون سابق إنذار إلى أي مركز إقليمي في أي وقت أثناء إقامتهم في مراكز الاحتجاز المجتمعية.

على مجموعات حقوق الإنسان والهيئات الكنسية الاستمرار في الدعوة بشراسة إلى إدخال تحسينات على برامج مراكز الاحتجاز المجتمعية. فعلى عكس حال الأفراد القابعين في مراكز الاحتجاز المغلقة، يعيش طالبو اللجوء واللاجئون في مراكز الاحتجاز المجتمعية حياة شبة طبيعية على الرغم من الظروف غير المعتادة هناك ويُتاح لهم إضفاء طابعهم الشخصي على المكان الذي يعيشون فيه. وتساعد الظروف في المراكز المجتمعية الأفراد على التعايش مع ضغوط اجتياز إجراءات تقييم مدى استحقاق الحصول على صفة لاجئ التي عادة ما تستغرق وقتاً طويلاً وتسبب صدمات نفسية، وفي حال اشتملت تلك المراكز على الفرص المناسبة والدعم، تصير نموذجاً إنسانياً وفعالاً أفضل بكثير من مراكز الاحتجاز المغلقة.

لويز ستاك louise.stack@jrs.org.au، وسومة بيلاي suma.pillai@jrs.org.au، وكاترين مارشال catherine.marshall@jesuit.org.au يعملون لدى منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية الأسترالية. www.jrs.org.au

١. سيلوف د، ماكينتوش ب، بيكر ر، «مخاطر إعادة تعرض طالبي اللجوء في أستراليا للصدمة النفسية»

(Risk of retraumatization of asylum-seekers in Australia)

مجلة الطب النفسي الأسترالية والنيوزيلندية، 1993، المجلد 27، رقم 4، ص.ص.

<http://tinyurl.com/Silove-McIntosh-Becker-1993>

٢. تقديرات مجلس الشيوخ، الشؤون القانونية والدستورية (13 فبراير/شباط 2012)

<http://tinyurl.com/Aus-Senate-13Feb2012>

٣. مراكز احتجاز المهاجرين مباني سُيِّدت لغرض الاحتجاز. أما الأماكن البديلة للاحتجاز فمكان، مثل: الفندق أو المستشفى، يُستخدم كمركز للاحتجاز يبقى به المحتجزون تحت الحراسة.

«نعم، قد لا يُحيط بنا أسوار شائكة ونستطيع التحرك في أرجاء المركز المجتمعي ولكن ثمة كثير من القيود الأخرى التي تعيق حركتنا. فما زال قانون حظر التجول يُطبق هناك. ولا نحصل سوى على الفتات من المال، ويبدو وقت انتظار إتمام إجراءات التأشيرة وكأن لا نهاية له. وتظل حياتنا كالجحيم.» (طالب لجوء محتجز في مركز هزارة ظل في مراكز الاحتجاز المجتمعية أكثر من عام)

ومع ذلك، يُسمح للعامل بالانخراط في عمل تطوعي غير مدفوع الأجر كوسيلة للترفيه عن أنفسهم في مجتمعاتهم المحلية ولتكوين العلاقات وتحسين مهاراتهم في اللغة الإنجليزية واكتساب مهارات جديدة. وقد يُساعدهم ذلك، جنباً إلى جنب مع تجاربهم في مراكز الاحتجاز المجتمعية، على دخول سوق العمل سريعاً بمجرد حصولهم على التأشيرة.

يصعب على المنظمات، مثل: منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية، غالباً إيجاد المسكن المناسب للمحتجزين وتوفير المستوى المطلوب من الخدمات لهم. أضف إلى ذلك أن